بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ

الصادقين

الإسلام محتاج الى جميع أبنائه

الجمعة ١١ ذي الحجة ١٤٤٤ هـ / ٣٠ حزيران ٢٠٢٣م العدد ٢٣٥

نشرة تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل أحاديث وخطابات وفتاوي وأخبار سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ مصاحبة الصالحين تحمي من الوقوع في الفتن

حثّ المؤمنين من مختلف البلدان على زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الغدير وتعظيم شعائره [1]

نَحثُّ المؤمنين عامة على زيارة أميرهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) في النجف الأشرف بمناسبة عيد الغدير استجابة لنداء الأئمة المعصومين (عليهم السلام) على لسان الامام الرضا (عليه السلام) قائلاً لأحد أصحابه المقربين (يا ابن أبي نصر أينما كنت فأحضر يوم الغدير عند أمير المؤمنين (عليه السلام) فأن الله يغفر لكل مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة ذنوب ستين سنة، ويعتق من النار ضعف ما أعتق في شهر رمضان وليلة القدر وليلة الفطر، والدرهم فيه بألف درهم لإخوانك العارفين)(٢).

والدعوة بصريح العبارة (أينما كنت) مطلقة موجهة إلى الجميع في شرق الأرض وغربها بلا استثناء، الا من اقعده عذر غالب فيؤدي الزيارة من بعد، ويشارك في شعائره المتنوعة.

وان هذا اليوم يستحق كل اهتمام، لأنه يوم اكمال الدين واتمام النعمة بنص القرآن الكريم ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ (المائدة:٣) وقد اكتمل الدين وتمت النعمة بتنصيب علي بن أبي طالب خليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وأميراً للمؤمنين ومن بعده أولاده المعصومين (عليهم السلام)، فلا غرابة في اعتباره أعظم أعياد الإسلام، وفي الرواية السابقة عن الامام الرضا (عليه السلام) قال (ان يوم الغدير في السماء أشهر منه في الأرض).

إنّ الاحتفال بعيد الغدير وتعظيم شعائره والتذكير بواقعته ليس قضية طائفية ولا تستهدف أحداً مخالفاً لنا في المذهب أو الدين، وإنما هو بيان لأساس قضايا الإسلام المحمدي الأصيل وجوهرها وروحها، قال الامام الصادق (عليه السلام) (بني الاسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية)(٣).

وقد شرع النبي (صلى الله عليه وآله) في بيانها من أول أيام البعثة النبوية المباركة عندما نزل قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء:٢١٤) فجمع بني هاشم، وعرض عليهم نصرته ومؤازرته والتضحية من أجله، وفي ذلك الاجتماع أعلن (صلى الله عليه وآله) أن علياً (عليه السلام) وزيره وخليفته، حتى تهكّم عمهُ أبو لهب من عمهِ أبي طالب وقال ساخراً (إن ابن أخيك محمداً يريد منك أن تكون تابعاً لولدك الصغير علي)، لكن أبا طالب كان راسخ الايمان صلب الاعتقاد بأن ما يبلّغه النبي (صلى الله عليه وآله) حق وصدق و هو وحي من عند الله تعالى.

وقد توالت البيانات لتأكيد هذه القضية في وقائع متعددة حتى أصبح ذلك واضحاً لدى الصحابة، وعُرف عن جماعة من صادقي الايمان منهم التشيع والولاء لعلي (عليه السلام) في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) كسلمان وابي ذر والمقداد وعمار وذي الشهادتين وابن التيّهان و أبي أيوب الأنصاري و حذيفة بن اليمان وآخرين ممن ثبتوا على الحق ولم يزيغوا.

وجاء يوم الغدير وما قام به النبي (صلى الله عليه وآله) أمام ذلك الملأ الذي بلغ عشرات الآلاف من تبليغ لرسالة الله تعالى، تتويجاً لتلك البيانات وإعلاناً واضحاً وصريحاً لما يريده (صلى الله عليه وآله) من أن علياً هو ولي أمر المسلمين جميعاً من بعده، وهو الذي يجب أن يكون امتداداً له (صلى الله عليه وآله) في إقامة الدين وحفظ كيان الأمة وهدايتها وصلاحها.

وبذلك أفشل مؤامرات الأعداء الداخليين وهم المنافقون والحاسدون وطلاب الدنيا والذين أُشرب التعصّب الجاهلي في قلوبهم، والأعداء الخارجيين من الأمم الأخرى كالروم والفرس المتحالفة للقضاء على الإسلام، الذين كانوا يتربّصون برسول الله (صلى الله عليه وآله) يريدون موته لكي ينتهوا من أمر الإسلام لأنهم يعتقدون أن بقاء الإسلام منوط بشخص النبي (صلى الله عليه وآله)، وعند ما يحقق ذلك الفشل للأعداء نزل قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ (المائدة:٣)

فقضية الغدير أهم قضايا الإسلام، لأن

التتمة في الصفحة الخامسة

(١) الخطبة الثانية لعيد الأضحى المبارك سنة ١٤٤٤ الموافق ٢٩-٦-٢٠٢٣.
(٢) وسائل الشيعة (آل البيت): ١٤/٣٨٨/باب ٢٨/ح١.
(٣) الكافي :ج ٢ / ١٨.

أسباب التوفيق : الشهيد السعيد الشيخ حسين السويعدي مثالاً [6]

يحظى بعض الناس - رجالاً ونساءً - بتوفيق خاص من الله تعالى يغبطهم عليه الآخرون ويودّون أن ينالوا مثله، ولما كان هذا التوفيق فضلاً من الله تعالى وكرماً يختص به بعض عباده فهو من فعل الرب الكريم وليس بأيدينا، وأن ما نستطيعه هو القيام بالأسباب التي نالوا بها هذا التوفيق وتُعرف من خلال تحليل سيرة هذه الشخصيات ومراجعتها والتأمل فيها، وفعل هذه الأسباب بأيدينا، لذا يقول في الدعاء (اللهم إني أسألك مُوجبات رحمتك) لأن رحمة الله تعالى من أفعاله سبحانه وما نفعله هو استجلابها بفعل موجباتها.

والتاريخ حافل بمثل هذه الشخصيات وعندما نعرض سيرة المعصومين (عليهم السلام) وأهل بيتهم كالعقيلة زينب (عليها السلام) وأبي الفضل العباس (عليه السلام) وعلي الأكبر والقاسم بن الحسن يقال لنا هؤلاء ناس مخصوصون بكرامة من الله تعالى ولا نستطيع أن نكون مثلهم، وهو إشكال مردود لأنهم بشر مثلنا لكنهم تمتعوا باستعداد فائق للتكامل فأتاهم الله تعالى من فضله والله واسع عليم.

ومع ذلك فإننا نستطيع أن نأتي بأمثلة من واقعنا عاشوا معنا وعرفنا سيرتهم كالشهيد السعيد الشيخ حسين السويعدي (رضوان الله تعالى عليه) الذي كان أول شهيد من أئمة الجمعة الذين عينّهم السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) وقد كرّس نفسه للإسلام ولإعلاء كلمة الله تعالى ونصرة أوليائه وإصلاح العباد وإنقاذهم من ظلمات الجهل والانحراف والتعصب والغفلة إلى نور الإيمان والعمل الصالح والثبات على الحق فهو من فتيان الإسلام الذين نعتزّ بهم وندعو شبابنا للتأسي بهم والتعرف على كيفية حصولهم على التوفيق الخاص.

يتحدث والداه عنه أنه منذ صغره كان باراً بهما ويصحب أباه والشباب المتدينين الذين يكبرونه إلى المساجد ومجالس أهل البيت (عليهم السلام)، وكان قلبه رحيماً محبّاً للناس فيشتري بما يحصل عليه من مصروف اليومي بعض الحلويات ويوزّعها على الأطفال ليرى البسمة في وجوههم ويحب مساعدة الآخرين، ويحدِّث أقرانه بما تعلّم في المساجد والمجالس من أمور الدين.

وعندما تصدى السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) للمرجعية بعد الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ وشجّع الشباب الأكاديميين على الالتحاق بالحوزة لسدّ النقص الكبير

التتمة في الصفحة السادسة

(٦) من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (قدس سره) مع جمع من الطلبة و الشباب العاملين يوم الأحد ٢٩/ذو القعدة/١٤٤٤ الموافق ١٨ /٦ /٢٠٢٣ ويوم ٨ /ذي الحجة/١٤٤٤ الموافق ٢٧ /٦ /٢٠٢٣.

الصادقين
العدد ٢٣٥
الجمعة ١١ ذي الحجة ١٤٤٤ هـ / ٣٠ حزيران ٢٠٢٣م

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨]

مصاحبة الصالحين تحمي من الوقوع في الفتن (٧)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

أي احبس نفسك ووطّنها على مصاحبة الصالحين وملازمة مجالسهم، وهم الذين صدقوا مع الله وأخلصوا نياتهم لله تعالى، وكرّسوا أنفسهم لما يحب ويرضى، فقرّبهم وتقرَّب إليهم، واستمع إلى مشاكلهم، واقضِ حوائجهم ودارهم، وتحمّلهم إن ضاقت نفسك بمواساتهم، وتحمل معاناتهم ومقاطعة المجتمع لك بسببهم، فإنهم انقطعوا إلى الله تعالى وكرّسوا حياتهم بكل تفاصيلها لله، واستوعبوا رسالة الإسلام عقيدة وفكراً و سلوكاً، فهم القوة الحقيقية للدين ويعوَّل عليهم في مواجهة الأخطار والفتن، وإن كانوا لا يملأون العين لخلو أيديهم من مظاهر الترف وزينة الدنيا.

ولعل في التعبير بالغداة والعشي كنايةً عن ذكرهم المستمر لله تعالى واستيعاب الوقت فيه، قال تعالى ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥] وقال تعالى ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١] وحضور الهدف لديهم وهو طلب رضا الله تعالى في كل تفاصيل حياتهم: عبادتهم وعملهم وعلاقاتهم الاجتماعية وأحاديثهم وحركتهم، ويراد أيضاً بالغداة والعشي جمعهم في أوقات الصلاة روي عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) في تفسير هذه الآية قالا: (إنما عنى بها الصلاة)(٨).

ورفعت الآية من منزلتهم حينما وصفتهم بأنهم يريدون وجهه أي مخلصين لله تعالى لا يريدون جزاءً ولا شكوراً.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولا تُعرض بوجهك عنهم وتبتعد عن مصاحبتهم، مجاملة للأغنياء والمترفين والمستكبرين واللاهين العابثين الذين يستنكفون من مجالسة هؤلاء المستضعفين، و طمعاً في إصابة شيء من دنياهم أو لتحظى بمكانة عندهم، فالآية الكريمة لا تدعو إلى مقاطعة المترفين وعدم إيصال صوت الحق إليهم، لأن الإسلام دين الرحمة والهداية لكل الناس ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، و لا إلى عدم الاستفادة من إمكانياتهم لنصرة الدين وتحسين أوضاع المحرومين، ولكن مع الفطنة والحذر من مكائدهم وشيطنتهم، و تنهى عن مجاملتهم والانسياق وراء رغباتهم على حساب الحق طمعاً في الدنيا.

ولا يبرّر إبعاد المؤمنين حتى لو كان الهدف كسب المترفين و هدايتهم حيث عدّت آية سورة الأنعام من يفعل ذلك من الظالمين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢].

روي في سبب نزول الآية أن مشركي قريش عرضوا على النبي (صلى الله عليه وآله) أن يبعد عنه أصحابه من الطبقة الاجتماعية المتدنية بحسب نظرتهم كعمار وبلال وخبّاب حتى يجلسوا إليه ويسمعوا منه وأنهم ما يمنعهم منه إلا وجود هؤلاء حوله ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۞ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۞ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۞ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۞ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۞ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۞ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ۞ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۞ وَهُوَ يَخْشَى ۞ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۞ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۞ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس: ١ - ١٢].

والأمر بالصبر يكشف عن تعرض النبي (صلى الله عليه وآله) لضغط من قبل المترفين لإبعاد الفقراء والمستضعفين، وكانت خديعة منهم لتفريق شمله وتوهين منزلته لدى أصحابه لما في ذلك من الإهانة والتحقير لهم.

وقد وقع مثل ذلك في المدينة بعد فتح مكة من بعض الوجهاء الذين اضطروا للدخول في الإسلام، فقد روى علي بن إبراهيم في تفسيره قال: (فهذه نزلت في سلمان الفارسي كان عليه كساء فيه يكون طعامه وهو دثاره ورداؤه وكان كساء من صوف فدخل عيينة بن حصن على النبي صلى الله عليه وآله وسلمان عنده، فتأذى عيينة بريح كساء سلمان وقد كان عرق فيه وكان يوم شديد الحرّ فعرق في الكساء، فقال: يا رسول الله إذا نحن دخلنا عليك فأخرج هذا واصرفه من عندك فإذا نحن خرجنا فأدخل من شئت فأنزل الله ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ وهو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري)(٩).

فجاء الرد من الله تبارك وتعالى حازماً واضحاً في رفض كل هذه العروض، لأن الإسلام رسالة إلهية لإصلاح الإنسان وقلع جذور الجاهلية في نفوس الناس، ومنها هذا الاستعلاء والطبقية.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ واحذر أن تنزلق إلى مطاوعة ما يريدونه منك، أو يخدعك أولئك الذين أعمت الدنيا بصيرتهم وشغلتهم عن معرفة الحقيقة، فقضوا حياتهم في اللهو والعبث والاستمتاع واللامبالاة، وشغلوا فكرهم وقلوبهم بهذه الأمور وغفلوا عن الوصول إلى الغاية، وتحقيق الغرض الذي خُلقوا من أجله وهو السعي نحو الكمال والفوز برضوان الله تعالى، فحرموا من توفيق الله تعالى وتأييده.

﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ ولم تكن أفعالهم عن حكمة ورُشد وبصيرة بل اتباعاً للأهواء والنزوات والإثارات العاطفية شهوة أو غضباً أو جهلاً أو تعصّباً، فكأنَّ تلك الغفلة سبب لسقوطهم في اتباع الأهواء والشهوات أو نتيجة له أو كل منهما سبب للآخر، فهُم في هذا التسلسل من الانحدار: غفلة ثم اتباع هوى حتى يصلوا إلى قعر الانحطاط.

﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ أي ضائعاً مشتتاً غير محافظ على الاستقامة، منحرفاً عن الحق ومثله التعبير في سورة مريم ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] وهو الضلال وفقدان الرشد.

إن الآية الكريمة ترشد إلى أدب من آداب القرآن يربّى عليه قادة الإسلام في نظرتهم إلى الناس وكيفية تعاملهم معهم، ويربّي أتباعه أيضاً على هذا الأساس خصوصاً الحوزة العلمية والمتصدين لمواقع المسؤولية والعاملين الرساليين، بأن لا يترفعوا عن عامة الناس وأن لا يضعوا الحواجز بينهم.

وبنفس الوقت تقدم الآية الكريمة هذا العلاج لأكثر من مشكلة:

١- اجتماعية: وهي التمايز الطبقي حيث يُصنَّف أبناء المجتمع الواحد إلى طبقة مستعلية من أهل الثراء والترف وهم قلة، وطبقة متدنيّة لا تملك ما عند أولئك وهم الكثرة، وتُمِيِّز الطبقة الأولى نفسها عن الثانية في مجالسها ونمط حياتها في المأكل والملبس وواسطة النقل وسائر شؤونها حيث يعتادون الإسراف والتبذير وبعثرة الأموال على اللهو والعبث، بينما تعيش الطبقة العامة في ضنك من العيش وصعوبة في تدبير احتياجاتها الأساسية، مما يولّد شعوراً بالانتقام من الذين يعتاشون على دمائهم، وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: ﴿فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِي﴾(١٠)، ونقل عن بعض النسخ المخطوطة للنهج (بما منع).

وهذه مشكلة معقّدة عانى منها جميع الأنبياء (عليهم السلام) فواجهوا بها نوحاً (عليه السلام) ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ۞ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ۞ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ۞ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الشعراء: ١١١ - ١١٥] وواجهوا بها النبي هوداً (عليه السلام) ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧] وهذا ما جرى عليه فرعون في خطابة لموسى وهارون وقد جاءاه بهيئة الفقراء يدعوانه إلى الإيمان بالله تعالى ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۞ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ

التتمة في الصفحة الثالثة

(٧) الخطبة الأولى لصلاة عيد الأضحى المبارك سنة ١٤٤٤ الموافق ٢٩ /٦ /٢٠٢٣.
(٨) نور الثقلين: ٣ / ٢٥٨ عن تفسير العياشي.
(٩) البرهان في تفسير القرآن: ج٦، ص ١٣٢ ح٢ عن تفسير القمي: ج٢، ص ٣٤، الدر المنثور: ٥/ ٣٥٤.
(١٠) نهج البلاغة: الحكمة ٣٢٥.

الصادقين
العدد ٢٣٥
الجمعة ١١ ذي الحجة ١٤٤٤ هـ / ٣٠ حزيران ٢٠٢٣م

﴿مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف: ٥١ - ٥٣] فهم يريدون من الأنبياء والقادة المصلحين الرساليين أن يدُوروا في فلكهم ويحفظوا لهم مصالحهم وزعامتهم، و أن يسكتوا عن مظالمهم واستئثارهم بأموال الناس، وأن يجعلوا من الدين غطاءً يشرعنون به كل هذه الجرائم والانحرافات, ويجلدوا به معارضيهم، مقابل أن يحظوا بالمكانة عندهم ويعدّونهم من طبقتهم، وإلا فسيواجهونهم بشراسة، وهذا التحدي مستمر يواجهه العلماء الربانيون ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۞ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٤ - ٣٥] فهذه النظرة الاستعلائية وجعل المقياس الأمور الدنيوية موجودة عندهم.

وضمن هذا المنهج الإصلاحي لهذه العقدة الجاهلية يجيء هذا الأمر فإن في الاستجابة لهم تأكيداً لهذه الفوقية التي يتعاملون بها مع بقية الناس مع ما يتطلبه من تقديم تنازلات على حساب العقيدة الحقة والأخلاق السامية والمداهنة ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

فجاءت الآية الكريمة بهذا الأمر الإلهي ليردم هذه الفجوة، ويشعر طبقة المستضعفين بأهميتهم ويزرع الثقة بأنفسهم وأنهم الأقرب ما داموا يريدون وجه الله تعالى مع زجر المتعالين حتى يتواضعوا ويحسّوا بمعاناة غيرهم ويواسوهم ويعطوهم حقوقهم.

وقد دأب قادة الإسلام المعصومون (عليهم السلام) على هذا الأدب الإلهي في حياتهم فكانوا - مع جلالة قدرهم وعلوّ مكانتهم التي لا يضاهيها أحد - يجالسون الفقراء والعبيد ويؤاكلونهم ويدعونهم إلى دورهم.

وبذلك وحّد النبي (صلى الله عليه وآله) الجميع تحت راية الإسلام وصنع من أعراب الجاهلية خير أمة أخرجت للناس ومنحها القوة والاقتدار لتفتح العالم وتبني أرقى حضارة إنسانية.

لما علم أمير المؤمنين (عليه السلام) أن واليه على البصرة عثمان بن حنيف دعي إلى مأدبة للأغنياء ورجال الأعمال كما يسمونهم أسرع في إرسال كتاب له جاء فيه (أما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قومٍ عائلهم مجفوّ وغنيهم مدعوّ)(١١).

وتنقل الآيات الكريمة مشهداً في يوم القيامة للمفاجأة المذهلة التي يصدم بها المترفون المتعالون حينما يجدون أنفسهم في الجحيم ويجدون من كانوا يصفونهم بالأراذل في أعالي النعيم ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ۞ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ [ص: ٦٢ - ٦٣].

وتصف الآية التالية للآية محل البحث عاقبة هؤلاء وصورتهم الحقيقية في الآخرة بعد أن خدعوا بالصورة الدنيوية المزوّقة، لكن الحقيقة أن ما أكلوا من أموال ناس بالباطل سيصير سوائل مذابة فائقة الحرارة تشوي الوجوه عند تقريبها قبل شربها، ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩] فالمشروبات المثلّجة التي كانوا يتنعّمون بها في الدنيا على حساب المحرومين أصبحت بهذه الصورة لأنهم بترفهم حرقوا قلوب أولئك المحرومين والمستضعفين.

وبالمقابل يتساءل أصحاب الجنة فيما بينهم وهم يرفلون بأنواع النعم التي وصفتها سورة الصافات ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ۞ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۞ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ۞ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٤ - ٥٧] وفي هذا كله تحذير وتنبيه لأهل الغفلة من المترفين.

٢- دينية وأخلاقية: وهي مشكلة الضياع والقلق وعدم الاستقرار وسط تجاذبات الفتن فتعالج الآية الكريمة هذه المشكلة لترويض النفس حتى تكون مطمئنة ولتطهير القلب حتى يكون سليماً من الرذائل وتشير الأحاديث الشريفة إلى أن التدبر في سورة الكهف يقي من الفتن ففي مجمع البيان عن أبي بن كعب عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (من قرأها فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة، فإن خرج الدجال في تلك الثمانية الأيام عصمه الله من فتنة الدجال) وروي أيضاً عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ستة أيام من كل فتنة تكون فإن خرج الدجال عصم منه)(١٢).

فقدّمت السورة عدة عواصم منها ومثبتات على الهدى والاستقامة، منها:

أ- الإخلاص لله تعالى كما في الآية الأخيرة من السورة.

ب- والاهتداء بالقرآن حيث جاء في الآية السابقة ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

ج- تحقير الدنيا التي من مساوئها مفارقة الصالحين، والتحذير منها والانخداع بزخارفها التي هي وهمٌ تزول لذّته وتبقى تبعته كقوله تعالى في الآية: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥] فإن (حب الدنيا رأس الفتن وأصل المحن) كما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأن (رأس كل خطيئة حب الدنيا)(١٣) كما عن الإمام الصادق (عليه السلام).

د- ما في هذه الآية فيكون أحد وسائل الإنقاذ من الفتن والثبات على الاستقامة، مصاحبة الصالحين وملازمة مجالسهم خصوصاً إذا كانوا من العلماء الذين يتحفونك بالنصيحة والإرشاد والهداية وتعليم ما ينفعك في دنياك وآخرتك، روى ابن عباس قال (قيل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أي الجلساء خير قال (صلى الله عليه وآله): من يذكّركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله)(١٤).

والمتأمل في سورة الكهف يجد أنها عرضت أشكالاً من الفتن من خلال قصص أصحابها، فورود الآية ضمن السورة فيه إرشاد لبعض وسائل مواجهتها، وقد ذكرت السورة عدة فتن منها:

١- الفتنة التي عاشها أصحاب الكهف وهي فتنة الدين المزيف الذي يصنعه بعض المتاجرين المتسترين بالدين ويضعون من عندهم طقوس وتعاليم وآلهة تعبد من دون الله تعالى ويستعينون بالدجل والخداع ليصنعوا لهم زعامة على الناس وليتسلّطوا على أموالهم وأعراضهم ويتحالفون مع السلطات الظالمة لترسيخ زعامتهم وفرض نفوذهم واستئصال خصومهم، لكن أصحاب الكهف لم يُغرِهم ترف القصور ولم يرعبهم بطش الطواغيت فوقفوا ونطقوا بالحقيقة الكبرى أمام الناس ليزيلوا الغشاوة عن بصائرهم ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى، وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٣- ١٤]، وهذا القول الشطط هو علامة من كان أمره فرطاً، وفوجئ أصحاب الكهف ببقاء نفس الثقافة لدى الناس رغم مرور مدة طويلة تبلغ ثلاثمائة عام و تحولهم إلى الإيمان ظاهراً.

حيث اختلفوا فمنهم يريد أن يبني عليهم بنياناً كالمعبد لتنشيط السياحة والحركة التجارية ونحوها من أمور الدنيا، وغفلوا عن الاتعاظ بهذه المعجزة الإلهية ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

٢- فتنة المال من خلال قصة الرجلين الذين رزقهما الله تعالى ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً﴾ [الكهف: ٣٢] فاغترّ أحدهما وكفر بنعمة الله تعالى وقال: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤]، بل أعتقد إن إقبال الدنيا عليه والحياة المترفة التي يعيشها دليل على أحقيته وجدارته، وهذا الانحراف في الرؤية يحصل داخل الوسط الديني ويرون إن العامل الرسالي الذي يعاني من الضيق والبلاء ويعيش وسط الفقراء والمحرومين ليس بصاحب حق؟ فيستضعفونهم ويحاصرونهم ويقللون من شأنهم وينفرون الناس منهم، و ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۞ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٥-٣٦] ولم يستمع إلى وعظ صاحبه فجاءت الضربة القاضية ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢].

٣- فتنة العلم من خلال قصة موسى (عليه السلام) والعبد الصالح ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] فتواضع موسى (عليه السلام) وهو الرسول الكريم من أولي العزم لعلم العبد الصالح ولم يغتر بما عنده، وسعى للاستفادة منه.

٤- فتنة السلطة من خلال قصة ذي القرنين ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤] فلم يشغله هذا الملك العظيم عن ذكر ربّه ولم ينسبه إلى نفسه، بل يردّد إنه من فضل ربّه والاعتراف بفضله ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ [الكهف: ٩٨] ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٩٥] واستثمر هذه القوة في تحرير المستضعفين الذين لجأوا إليه لتخليصهم من ظلم وطغيان يأجوج ومأجوج فكان مثالاً لهؤلاء المحررين وسيدهم أمير المؤمنين لذا ورد في التفسير إنه (عليه السلام) (ذو قرني هذه الأمة)(١٥) وكان ميزان ذي القرنين في التعامل: التقوى والعمل الصالح ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٨].

فتكفّلت الآية الكريمة ببيان هذا العلاج مع جملة من العلاجات للخروج من الأزمات ومواجهة الفتن بنجاح.

ولذا حثّت الأحاديث الشريفة على مجالسة العلماء والصالحين والاستفادة منهم روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (ما من مؤمن يقعد ساعة عند العالم إلا ناداه ربّه عز وجل: جلست إلى حبيبي، وعزتي وجلالي لأسكننّك الجنة معه ولا أبالي)(١٦) وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (اجتمعوا وتذاكروا تحفّ بكم الملائكة، رحم الله من أحيا أمرنا)(١٧) وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (يا خيثمة: اقرئ موالينا السلام،

التتمة في الصفحة الخامسة

(١١) نهج البلاغة: قسم الكتب، رقم ٤٥. (١٢) مجمع البيان:٦ /١٦٨، الدر المنثور:٥ /٣٥٤. (١٣) الحديثان في ميزان الحكمة:٢ /٨٩٦. (١٤) امالي الطوسي:١ /١٥٧.
(١٥) البرهان في تفسير القرآن: ٦ /١٦٢. (١٦) بحار الانوار ١ /١٩٨ عن أمالي الصدوق. (١٧) وسائل الشيعة:١٢ /٢٣.

الصادقين

٤

العدد ٢٣٥

الجمعة ١١ ذي الحجة ١٤٤٤ هـ / ٣٠ حزيران ٢٠٢٣م

﴿أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْحَمِيدُ﴾(٢٤) [فاطر: ١٥]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وفي معناها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨].

الفقير مقابل الغني، وهي صفة مشبهة فتدل على حال علق بالذات على نحو مستمر كما في قتيل بمعنى مقتول، وليس مؤقتاً كاسم الفاعل، أو هي صيغة مبالغة تدل على شدة اتصاف الموصوف بالصفة على نحو رحيم وكريم وعظيم.

والفقر يتضمن معنى النقص والضعف الموجب للاحتياج، فنقول إن هذا الشيء يفتقر إلى كذا أي يحتاج إليه، أما الغني فيتضمن معنى الكمال والقوة الرافعة للاحتياج، والاحتياج سببه الفقدان والانفصال عمّا يحتاج إليه، ولعله لهذا سميت الفقرات في العمود الفقري لأنها حلقات منفصلة محتاجة إلى بعضها.

وبذلك يتحصّل لنا أكثر من وجه لتسمية الفقير:

أ- لانفصاله وانقطاعه عن سبب كماله وحاجته وفقدانه له كالمال وغيره.

ب- لأن الفقر بذلّته ومسكنته وشدة وطأته كسر ظهر صاحبه وقطع عموده الفقري، ومن كسر عموده الفقري فإنه يكون مشلولاً عاجزاً عن الحركة والنهوض وهكذا الفقير لا يستطيع سد احتياجاته إلا بأن يكمل أحدٌ نقصه، سواء كان على مستوى الفرد أو الأمة فإنها إذا كانت لا تمتلك مقومات القيام فإنها عاجزة مستعبدة.

وقد أطلق القرآن الكريم على المصيبة العظيمة بأنها فاقرة أي قاطعة للعمود الفقري وكاسرة للظهر في قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٤] أي عابسة بائسة ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٥] وهي الداهية العظمى التي تكسر فقار الظهر كما يقال قاصمة الظهر، وفي الحديث الشريف عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (من القواصم الفواقر التي تقصم الظهر جار السوء)(٢٥).

ويراد بالفقير في المصطلح هو الذي لا يستطيع توفير احتياجاته المعاشية الأساسية بشكل مستمر فهو في ضعف عن سد الحاجة ونقص من هذه الجهة ويحتاج إلى من يسدّ حاجته، وعرّفه الفقهاء بأنه من لا يملك قوت سنته، وأشكلنا على التعبير(٢٦) وقلنا إن الصحيح هو أنه لا يجد قوت سنته، لأنه قد يتوفر لديه ما يحتاج على نحو غير التمّلك كإباحة التصرف أو دخوله في عنوان الموقوف عليهم ونحو ذلك، فهو ليس فقيراً مع عدم تملكه.

وفي حصر الفقير بنقص المال تضييق لمعناه الواسع إذ يمكن أن يكون فقيراً في الدين أو العلم أو الأخلاق أو الجاه أو العلاقات الاجتماعية ونحو ذلك، روى الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (الفقر الموت الأحمر، فقلت لأبي عبد الله: الفقر من الدينار والدرهم؟ فقال (عليه السلام): لا، ولكن من الدين)(٢٧) وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (الفقر فقر القلب)(٢٨) ومن كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا فقر كالجهل)(٢٩) و (أكبر الفقر الحمق)(٣٠).

بل الأهم من ذلك أن يلتفت إلى فقره الذاتي وحاجته إلى الغني المطلق وهو الله تبارك وتعالى، وهذا هو الفقر الحقيقي الذي تفرعت عنه المصاديق الأخرى، فقد يكون صاحب مال أو علم أو زعامة أو أي شيء آخر من هذه الأمور الدنيوية لكنه في حقيقته فقير.

وهذا الفقر دليل على وجود الله تعالى الغني لأن الفقير لا يتمكن من الحياة إلا بإمداد الغني، (إلهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك)(٣١).

فالإنسان محتاج إلى الله تعالى ابتداءً حيث أعطاه الله تعالى كل تلك النعم ولم تكن عنده، واستمراراً إذ يمكن أن يسلبها في أي لحظة وإلى هذا أشار الإمام الحسين (عليه السلام) في دعائه يوم عرفة: (إِلهِي أَنا الفَقِيرُ فِي غِنايَ فَكَيْفَ لا أَكُونُ فَقِيراً فِي فَقْرِي)(٣٢)، فهذا الغنى نسبي بلحاظ حالة معينة، وإلا فإن الفقر صفة ذاتية ثابتة فيه.

وثمرة الالتفات إلى هذه الحقيقة ألا يغتّر الإنسان بما عنده من هذه الأمور فيطغى ويؤدي به الطغيان إلى كفران النعمة والتمرد على الله تبارك وتعالى وعصيانه، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٦-٧] فهو لم ولن يستغني ولكنه توهم الغنى ورآه بعينه غير البصيرة فتصور أن الثراء وكثرة المال واقتداره الظاهري يحميانه من الفقر و الحاجة، ولم يلتفت إلى أن هذا كله معرض للزوال فأعجب بنفسه وطغى، لذا يتعوذ المعصومون (عليهم السلام) من هذا الغنى الوهمي ففي الدعاء (اللهم أغنني بالافتقار إليك ولا تفقرني بالاستغناء عنك)(٣٣).

ويذكر القرآن الكريم قارون مثالاً على ذلك فقد أعطاه الله تعالى مالاً كثيراً ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦] ولما نصحوه بأن يحسن ولا يبغي الفساد في الأرض ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨] أي بقدراتي الذاتية وليس بفضل الله تعالى، ولم يلتفت إلى حقيقة مهمة ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨].

وروى الشيخ الكليني (قدس سره) في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (جاء رجل موسر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) نقي الثوب، فجلس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجاء رجل معسر درن الثوب فجلس إلى جنب الموسر، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه، فقال له رسوله الله (صلى الله عليه وآله): أخفت أن يمسك من فقره شيء؟ قال: لا، قال: فخفت أن يصيبه من غناك شيء؟ قال: لا، قال: فخفت أن يوسخ ثيابك؟ قال: لا، قال: فما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله إن لي قريناً يزيّن لي كل قبيح ويقبّح لي كل حسن وقد جعلت له نصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: للمعسر أتقبل؟ قال: لا، فقال له الرجل: ولمَ؟ قال: أخاف أن يدخلني ما دخلك)(٣٤).

وهذا ما أرادت الآية الكريمة التنبيه عليه وإخراج الناس من وهمهم وغفلتهم وطغيانهم، فأنتم فقراء ومحتاجون دوماً إلى الله تعالى وهو الغني المطلق عنكم وعن غيركم ولا تنفعه عبادتكم ولا أي شيء.

ونحن محتاجون إليه تعالى بجميع أسمائه الحسنى كالرحيم والغفور والهادي والرازق والعليم؛ لذا جيء بلفظ الجلالة الجامع لصفات الكمال، وإن الإنسان ليخجل من غفلته عن هذه الحقيقة التي يشهد بها وجدانه وكيانه حتى يذكّره الله تعالى بها.

وهو الحميد الذي يستحق أن يحمد لأن الغنى صفة كمال تستحق الحمد، وهو محمود على كل ما يفعل لأنه يختار الخير لعباده حتى وإن منع عنهم العطاء، وهو حميد لأنه مع غناه عن خلقه يذكرهم برحمته ويشفق عليهم وينزل إليهم كل ما فيه صلاحهم وسعادتهم، وجعل الإنسان خليفته في أرضه، وهو حميد لأنه يعطيهم بلا عوض لأنه غني عنهم وهذا وجه ارتباط الغني بالحميد، وينحصر الحميد به لأن طبع البشر الأغنياء هو اللؤم، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُوراً﴾ [الإسراء: ١٠٠].

لكن الشيطان ينسي الإنسان هذه الحقيقة ويوهمه بأن غناه في الحرص على تملّك هذه الأمور الدنيوية والاستزادة منها بأي نحو كان ليمنعه من إنفاقها في سبيل الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧] إلى أن قال ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

وتذكر الآية التالية لمحل البحث مثالاً لفقرهم، قال تعالى فيها: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بأن يفنيكم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ غيركم كما أتى بكم ولم تكونوا موجودين من قبل ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ أي محال وممتنع، وورد مثله في آيات أخر(٣٥) كما في آخر آية من سورة محمد (صلى الله عليه وآله) المتقدمة قال تعالى أيضاً: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

فالإنسان فقير ومحتاج إلى ربه الغني في كل حركاته وسكناته وأفكاره وهواجسه بل هو محتاج في كل نفس وفي كل نبضةٍ للقلب وهكذا. والغنى هو في إدراك هذه الحقيقة ومعرفة أن الفقر صفة لازمة له، لكي يلتجئ إلى الله تعالى في سائر أموره طالباً فضله ويتوسل إلى الله تعالى بفقره وحاجته (ها أنا أتوسّل إليك بفقري إليك وكيف أتوسّل إليك بما هو محال أن يصل إليك)(٣٦) وهذا هو كرم الله وسعة فضله أن يكتفي منها بالاعتراف بالعجز.

وحينئذٍ يكون هذا الإحساس بالفقر كمالاً للإنسان وقوة لأنه سيتّصل بفيض المنعم الواسع العليم، ولأنه سوف لا يرجو أحداً سواه ولا تذلّه الحاجة إلى أحد من الخلق، ولأنه يحفّزه على التحلي بالأخلاق الفاضلة والإتيان بالأعمال الصالحة راجياً ما عند ربّه الكريم، ولأنه سيدرك

التتمة في الصفحة السادسة

(٢٤) ألقي هذا القبس القرآني ضمن درس التفسير الأسبوعي يوم الأربعاء ٢٥/ذو القعدة/ ١٤٤٤ الموافق ١٤ /٦ /٢٠٢٣. (٢٥) الكافي - الشيخ الكليني: ٢/ ٦٦٨.

(٢٦) سبل السلام، العبادات، كتاب الزكاة، (ط ٦/ ص ٤٧٧/ مسألة: ١٦٦٥). (٢٧) الكافي: ٢/ ٢٦٦. (٢٨) بحار الأنوار: ٧٢ /٥٦، ح٨٦. (٢٩) نهج البلاغة، الحكمة ٥٤.

(٣٠) نهج البلاغة، الحكمة ٣٨. (٣١) مفاتيح الجنان، الدعاء الملحق بدعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة. (٣٢) بحار الأنوار: ٩٥/ ٢٢٥، مفاتيح الجنان: دعاء يوم عرفة.

(٣٣) بحار الأنوار: ٦٩/ ٣١. (٣٤) الكافي: ٢/ ٢٦٢-٢٦٣، بحار الأنوار: ٧٢/ ١٥. (٣٥) لاحظ مثلاً سورة إبراهيم: ٢٠، النساء: ١٣٣، الأنعام: ١٣٣.

(٣٦) مفاتيح الجنان:٤٧٤ من دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عرفة.

الصادقين
العدد ٢٣٥
الجمعة ١١ ذي الحجة ١٤٤٤ هـ / ٣٠ حزيران ٢٠٢٣م

تتمة: حثّ المؤمنين من مختلف البلدان على زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام)

الإسلام النقي الناصع حُفِظَ بها، وإن ولاية أهل البيت (عليهم السلام) ضمان لوحدة الأمة، وعدم ضياعها بالصراعات والخلافات، كما ورد في خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) (وجعل إمامتنا نظاماً للملة)، وبإضاعة بيعة الغدير انفرط عقد الأمة ومزقتها الصراعات وانتابتها الكوارث والويلات وحُرّف الدين، وقد جعل الله تبارك وتعالى أمر تبليغها معادلاً لتبليغ رسالة الإسلام كلها، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة:٦٧)

وهي قضية يشهد العقلاء بصحتها وضرورتها، إذ كيف يمكن لقائد حكيم مثل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يترك الأمة سدى من بعده، دون أن يُعيّن لها خليفة، وإذا لم يعيّن الرسول (صلى الله عليه وآله) خليفة من بعده كما يزعمون فلماذا خالفه كل الذين جاءوا من بعده فعينوا الخليفة التالي، فإحياء قضية الغدير فيه تأكيد على ألطاف المرسل تعالى وحكمة الرسول (صلى الله عليه وآله) وخلود الرسالة، رحمة بالعباد الى قيام الساعة.

إن ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) أعظم النعم بعد نعمة الإسلام، وبها اكتمل هذا الدين وتمت النعمة، قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة:٣).

وقد أُمرنا بتعريف هذه النعمة الى جميع الناس ودعوتهم للفوز بها، قال تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى:١١).

وقد فُسِرت النعمة في آيات كثيرة بدين الإسلام وولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) كقوله تعالى ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران:١٠٣) وقوله تعالى ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان:٢٠)، وعلى هذا يكون من مصاديق ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (إبراهيم:٢٨) هم الذين خالفوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يلتزموا بهذا العهد والميثاق.

فتعظيم شعائر يوم الغدير هو تذكير بهذه النعمة العظيمة، وتجديد الالتزام بهذا الميثاق الغليظ مع الله تبارك وتعالى ومع رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله)، فلا بد من أن تكون الزيارة وسائر الشعائر المقرّرة لهذا اليوم العظيم بمستوى الحدث والمشروع والغرض المقصود حتى قيام المهدي الموعود (عليه السلام).

ان النبي وآله المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) يُسرُّون بتواجد الحشد المليوني عند أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الغدير، ليلفتوا أنظار العالم إلى هذه القضية الكبرى التي رسمت مستقبل الأمة وحدّدت لها طريقها في ذلك المفصل التاريخي المهم حتى لا تضيع الأمة بعد رحيل نبيها (صلى الله عليه وآله) كما ضاعت وانحرفت الأمم الأخرى.

كما أنَّ حضور الملايين في زيارة الأربعين سلط الأضواء على قضية الامام الحسين (عليه السلام) ودفع الناس من مختلف الأديان والملل إلى السؤال عن هذه الظاهرة العجيبة والتعرفّ عليها، لكن الإعلام المعادي استطاع أن يبرزها على أنها مجرد فعالية بكاء وحزن على مقتل سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وتبرّأ بسهولة من فاعلها وهو يزيد الفاجر الفاسق، فلم تقطف الأمة ثمراتها المباركة كاملة، على المدى الاستراتيجي.

فلو حصل مثل هذا التحشيد في يوم الغدير -ولو بعد سنين- وأثار الانتباه لقضيته لكان في ذلك نصرة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، ورداً على من يقول بأنه مات ولم يترك خليفة من بعده وهو منطق يخالف الحكمة وسيرة العقلاء، ولنفهم العالم بحقيقة ما جرى، فزيارة الغدير جديرة بهذا الحشد والاهتمام وستكون نتائجها أكبر بإذن الله تعالى.

وفي هذا الإحياء المليوني إنصاف لأمير المؤمنين (عليه السلام) ورفع بعض الظلامة عنه وشهادة بحقه المضيَّع، وفيه أيضاً اعلاء لذكر أهل البيت (عليهم السلام) وتمهيد للظهور الميمون، فلا تضيعوا هذه الفرصة الثمينة، وسجّلوا أسماءكم فيمن نصر الله ورسوله وأمير المؤمنين وأدخل السرور عليهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

كما ندعو كل الميسورين وأصحاب المواكب لتوفير الطعام وسائر مستلزمات الخدمة والدعم اللوجستي والنقل للزوار الكرام.

ولا تغفلوا عن كل الشعائر والاعمال التي حثّ الائمة المعصومون (عليهم السلام) على إقامتها في هذا اليوم المبارك، كإطعام الطعام وإظهار المودّة بين الموالين واسقاط الحقوق والمظالم مع المؤمنين، وإظهار علائم الفرح والسرور والصدقة على الفقراء والتوسعة على العيال، والصوم شكراً لله تعالى وطلباً للتثبيت على الصراط المستقيم، صراط النبي واله الطاهرين (صلى الله عليهم اجمعين)،وسائر الفعاليات المعبّرة مثل وتوزيع الهدايا و (العيديات) خصوصاً على الأطفال لتعريفهم بأهمية هذا اليوم.

ومن تعظيم الشعائر في هذا اليوم: خروج مواكب الفرح والسرور مرددة أهازيج الولاء لأهل البيت الطاهرين (عليهم السلام)، وتوزيع الحلويات مصحوبة بقصاصات ورقية تبين اسرار هذه الأيام، وسبب كونه عيد الله الأعظم، وقد ذكرتُ عدة وجوه بالمناسبة (٤).

ومنها أيضا: إقامة المجالس التي تبّين للناس التفاصيل التاريخية لواقعة الغدير، وبيان حقيقية المراد من الآيات الكريمة النازلة فيها والأحاديث الشريفة المبيّنة لها، وردّ الشبهات والتأويلات الباطلة التي حاول أعداء أهل البيت (عليهم السلام) من خلالها طمس هذه الحقيقة الناصعة، وأنى لهم ذلك وقد شاء الله تعالى إظهار هذا النور.

وتذكرّوا لوعة وحزن الائمة المعصومين (عليهم السلام) على تضييع الامة لهذه الهدية الالهية الثمينة التي تكفل لهم سعادة الدنيا والآخرة، وفي ذلك يقول الامام الصادق (عليه السلام): (ان حقوق الناس تثبت بشهادة شخصين وقد أُنكر حق جدي أمير المؤمنين (عليه السلام) وعليه سبعون الف شاهد كانوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في غدير خم)(٥)، فأصيبت الامة بقتل وتشريد وقهر واستعباد وإذلال وجوع وتخلّف ونزاع مستمر وغير ذلك مما ذكرته في خطاب (ماذا خسرت الامة حينما ولّت أمرها من لا يستحق), ولكن ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(النحل :١١٨)، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾(النمل :١٤)، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾(هود:٢٨)، ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾(الزمر: ١٩)

مسألة: قد يعتذر بعض المؤمنين عن القدوم بأنه يريد أن يصوم هذا اليوم لما فيه من الأجر العظيم والسفر ينافي الصوم، ونبيّن هنا أن أجر الزيارة أعظم، ويستطيع الزائر ان يُمسك عن المفطرات خلال سفره ويجدد نية الصوم حين عودته إلى أهله ولو قبيل الغروب بلحظة لأن الصوم المستحب لا يشترط فيه ان يكون حاضراً في بلده عند الزوال باعتبار امتداد نيته إلى غروب الشمس.

(٤) من نور القران: ١ /٤٢١ , موسوعة خطاب المرحلة: ١ /٢٢٨.
(٥) بحار الانوار: ٣٧ /١٥٨ باب ٥٢.

تتمة: مصاحبة الصالحين تحمي من الوقوع في الفتن

وأوصهم بتقوى الله العظيم عز وجل، وأن يتلاقوا في بيوتهم فإن لقياهم حياة أمرنا، ثم رفع يده (عليه السلام) فقال: رحم الله أمروءاً أحيا أمرنا)(١٨) حتى روي عن رسول الله (?) قوله:(النظر إلى وجه العالم عباده)(١٩) وفسّره الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله:(هو العالم الذي إذا نظرت إليه ذكرّك الآخرة، ومن كان خلاف ذلك فالنظر إليه فتنة)(٢٠).

وورد في الأحاديث أن مجالسة العلماء والصالحين من أسباب التوفيق، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (لا يستغني المؤمن عن خصلة وبه الحاجة إلى ثلاث خصال: توفيق من الله عز وجل، وواعظ من نفسه، وقبول من ينصحه)(٢١) وأن الابتعاد عنهم سبب للخذلان وعدم التوفيق ورد في دعاء أبي حمزة للإمام السجاد (عليه السلام): (أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني، أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلك رأيتني آلِفُ مجالس البطالين فبيني وبينهم خلّيتني).

كما إن هؤلاء الصالحين الذين أمرنا بمجالستهم ليسوا موجودين في المساجد وأماكن الشعائر الدينية فقط، بل يجب أن نعمل لنوجد هذه المجالس المباركة التي تتناول قضايا الدين والمجتمع والوطن والإنسان في الجامعات وفي الأسواق أو البيوت بل حتى في المقاهي والحدائق العامة وأرصفة الطرقات، روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله:(تذاكروا وتلاقوا وتحدّثوا، فإن الحديث جلاء، إنّ القلوب لترين (أي تصدأ) كما يرين السيف وجلاؤها الحديث)(٢٢) ولم يحدد (عليه السلام) مكاناً محدداً لهذا اللقاء وقال الإمام الصادق (عليه السلام):(رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكر أمرنا، فإن ثالثهما ملك يستغفر لهما، وما أجتمع اثنان على ذكرنا إلا باهى الله تعالى بهما الملائكة فإذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذكر، فإن في اجتماعاتكم ومذاكرتكم أحياءُنا وخير الناس مِن بعدنا مَن ذاكر بأمرنا ودعا إلى ذكرنا)(٢٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال : ٢٤].

(١٨) بحار الأنوار:١ /٢٠٠ عن أمالي الطوسي.
(١٩) بحار الأنوار:١ /١٩٥ ح١٤.
(٢٠) ميزان الحكمة:٦ /١٥٥ عن تنبيه الخواطر:١/٨٤.
(٢١) وسائل الشيعة:١٢ /٢٥.
(٢٢) بحار الانوار:١ /٢٠٣.
(٢٣) بحار الانوار:١ /٢٠٠.

الصادقين
العدد ٢٣٥
الجمعة ١١ ذي الحجة ١٤٤٤ هـ / ٣٠ حزيران ٢٠٢٣م

تتمة: أسباب التوفيق : الشهيد السعيد الشيخ حسين السويعدي مثالاً

الذي أحدثه صدام وزبانيته خلال عقود حكمهم المظلمة واستأصل خيرة العلماء وفضلاء الحوزة العلمية، وكان الشهيد طالباً جامعياً في البصرة فحرك فيه الرغبة للالتحاق بالحوزة العلمية وهذا ما تحقق فعلاً وهو في العشرين من عمره تقريباً (ولادته عام ١٩٧٢ والتحق بالحوزة العلمية عام ١٩٩٣ تقريباً) وواظب على تحصيله العلمي بهمّه عالية حتى وصل إلى الدروس العالية.

وخلال دراسته في الحوزة العلمية قويت بصيرته وانفتح على المزيد من أحكام الشريعة والأخلاق وسيرة أهل البيت (عليهم السلام) وكان يسجّل في ورقة خاصة ما يهديه الله تعالى إليه من فعل أو سلوك حتى تجمع لديه برنامج عملي كالمواظبة على صلاة الليل وترك الغيبة وتجنب إضاعة الوقت في ما لا نفع فيه، والسعي في قضاء حوائج الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على البلاء، كان في النجف حينما أخبر بأن زوجته ولدت طفلة وقد ماتت الطفلة فاحتسبها عند الله تعالى ومضى إلى درسه، وكان يوصل المساعدات إلى الطلبة الذين أنهكهم الحصار الظالم خلال تسعينات القرن الماضي من دون أن يعلموا، وغير ذلك من الأخلاق السامية.

وكان يستثمر عطلة نهاية الأسبوع في التبليغ والإرشاد والتوعية من خلال إمامة الصلاة في بعض مساجد مدينة الصدر (مدينة الثورة سابقاً) في بغداد ويعقد الجلسات التثقيفية وحلقات الدروس الدينية للشباب، وأداء وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيشتري من ماله الخاص أو مما يصل إليه من تبرعات ما تتحجب به النساء العفيفات بعد إقناعهن بالحجاب، ويحذّر من الظواهر والسلوكيات المنحرفة، ويشتري الكتب التي تساهم في زيادة وعي الشباب وتثبيت عقائدهم والتمسك بأخلاق الإسلام، وقد أوجب عمله مراقبة جلاوزة النظام ومتابعتهم له لأنهم يخشون أي صوت واع يوقظ الأمة من غفلتها ويحررّها من عبادة الطاغوت ويهديها إلى دين الله القويم.

وعندما أعلن السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عن إقامة صلاة الجمعة في العراق تزامناً مع ميلاد السيدة الزهراء (عليها السلام) في جمادي الثانية/١٤١٨ (١٩٩٧) كان من الطبيعي أن يقع عليه الاختيار لإمامة صلاة الجمعة وعُيّن في منطقة المعامل في بغداد، ووجد الشهيد في هذا التشريف فرصة سانحة لأداء رسالته بشكل أوسع ومخاطبة شريحة من المجتمع للإقبال الجماهيري الواسع الذي شهدته صلاة الجمعة، مما أوجب تكثيف مراقبة النظام الجائر له، ونصحه بعض محبيه بمغادرة العراق ليحفظ نفسه من النتيجة الحتمية التي تقتضيها سياسة الطواغيت لكنه (رحمه الله) أبى أن يترك ساحة العمل والجهاد ويتخلى عن نصرة دينه ومرجعه وقائده.

وبعد خمسة أسابيع تقريباً من إقامة صلاة الجمعة اعتقله جلاوزة النظام في ٢٦ / رجب وتعرّض لأنواع التعذيب القاسي ولفّقوا له تهماً ثم حكموا عليه بالإعدام، ونُفّذ فيه الحكم بعد ثمانية أشهر تقريباً (في شهر ربيع) وتألّم السيد الشهيد الصدر (قدس سره) لفقدانه وقال فيه كلمات إكبار وثناء.

لم يتجاوز عمره السادسة والعشرين وتضمنت سيرته العطرة كل هذه الإنجازات التي سجّلناها باختصار وفاءً للشهيد الراحل، ولنضعها أمام الشباب حتى يتأسّوا بهؤلاء الفتية الذين ﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى، وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٣-١٤].

تتمة: ﴿أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]

عظمة نعمة الله تعالى حين يلتفت إليه وهو الغني عنه ومع افتقاره إليه سبحانه فكيف يقابله بالجحود والعصيان؟!.

وتوجد ثمرة أخرى لإدراك هذا الفقر الذاتي للإنسان والاحتياج إلى ربّه الغني تعرف من ضمّ هذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ [التوبة: ٦٠] حيث يفهم أن لله تعالى عطاءً خاصاً يتصدق به ويتفضل به على من أدرك معنى الفقر في حقيقته فانقطع إلى الله تعالى، وهذا العطاء متفاوت بتفاوت المعرفة بهذا الفقر واستحضاره.

وهذا الفقر الذاتي صفة كل المخلوقات الممكنات المحتاجة إلى الواجب الغني بذاته فإنها جميعاً لا تملك لأنفسها نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا قدرة ولا قوة (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وتذكر آية أخرى صورة من صور الاحتياج لكل المخلوقات، وهي الزوجية قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٤٩-٥٠].

وهنا يأتي سؤال بأن الآية لا تخلو من ظهور في حصر الفقر بالناس المخاطبين وكأن لسانها: أنتم أيها الناس دون سواكم الفقراء لله تعالى كما حصرت الغنى به تعالى، فكيف ينسجم هذا مع حقيقة أن كل المخلوقات فقراء إلى الله تعالى؟، ويمكن جوابه بوجوه: -

أ- الأولوية بأن يقال: إذا كان الإنسان خليفة الله في الأرض المجعول بأحسن تقويم شأنه الفقر والنقص والاحتياج فمن باب أولى بقية المخلوقات الأقل منه شأناً.

ب- التجريد عن الخصوصية فإن ملاك الفقر والاحتياج الذي جعل الناس فقراء إلى الله موجود في غيرهم أيضاً، وقال السيد الطباطبائي (قدس سره): ((وذلك أن عموم علة الحكم يعمم الحكم))(٣٧).

ج- إن الناس إنما خُصّوا بهذا الخطاب لأنهم وحدهم المتمردون والمتوهمون بخلاف الحق، أما المخلوقات الأخرى فإنهم مطيعون مذعنون مسلمون ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

د- إن هذا الحصر إضافي، فإنما خوطب به الناس لأنهم يظنون أن الله تعالى حينما يدعوهم إلى توحيده ونبذ الشركاء عنه ويجاهد الرسل من أجل هدايتهم إلى طاعته وعبادته فإنه محتاج إليهم، وكذا حينما يطلب منهم الإنفاق فإنه سبحانه محتاج إليهم وأنهم أغنياء بما عندهم وبآلهتهم التي يعبدونها وتعطيهم ما يشاؤون، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، فنبههم الله تعالى إلى هذا الوهم وأن الحقيقة معكوسة فأنتم الفقراء إلى الله تعالى والله غني عنكم، وحينئذٍ لا تدل الآية على حصر الفقر بهم بل تدل على حصرهم بالفقر.

والغفلة عن هذا الفقر نقص وفقر مذموم فلا بد أن نفهم وجوه الفقر ونفرّق بين أحواله.

ومما ينبغي الالتفات إليه أنّ المعصومين (عليهم السلام) تارة يذمون الفقر حتى قالوا فيه: (كاد الفقر أن يكون كفراً)(٣٨) ويتعوذون منه كما في الدعاء (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ . . . وَالْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ وَكُلِّ بَلِيَّة)(٣٩) لكنهم (عليهم السلام) يفتخرون باتصافهم به تارة أخرى كما في الحديث النبوي الشريف (الفقر فخري وبه أفتخر)(٤٠) وسئل النبي (صلى الله عليه وآله): ما الفقر؟ فقال (صلى الله عليه وآله): (خزانة من خزائن الله تعالى، قيل ثانياً: ما الفقر يا رسول الله؟ قال: كرامة من الله، قيل ثالثاً: ما الفقر؟ فقال (صلى الله عليه وآله): (شيء لا يعطيه الله إلا نبياً مرسلاً أو مؤمناً كريماً على الله تعالى)(٤١).

ومن وجوه الجمع أنّ الأول استعاذة من الحاجة الموجبة إلى نقص الدين وتدنيس الكرامة الإنسانية والاحتياج إلى الناس، والثاني هو الانقطاع إلى الله تعالى وشدة الاحتياج إليه وإنما يفتخر به لأنه (صلى الله عليه وآله) كان في أكمل صور الانقطاع إلى الله تعالى والفقر والحاجة إليه سبحانه، وقد ورد في المناجاة الشعبانية لأمير المؤمنين (عليه السلام): (اللهم هب لي كمال الانقطاع اليك).

(٣٧) الميزان في تفسير القرآن: ١٧/ ٣٤، وذكر (قدس سره) عدة أجوبة وصفها بأنها لا تلائم مفاد الآية وهي بعيدة فعلاً. (٣٨) أمالي الصدوق: ٣٧١.
(٣٩) بحار الأنوار: ٩٥/ ٩٣، مفاتيح الجنان: دعاء أبي حمزة الثمالي. (٤٠) بحار الأنوار: ٦٩/ ٣٠. عوالي اللئالي: ٤/ ١٢٥.
(٤١) ميزان الحكمة: ٧/١٣٨ عن جامع الأخبار: ٢٩٩ ح ٨١٥.

يمكنكم إرسال إستفتاءاتكم على عنوان مكتب المرجع الديني سماحة الشيخ محمد الي
العراق / النجف الأشرف / نهاية شارع الرسول (صلى الله عليه وآله) أو على عنوان البريد الألكتروني : .com
موقعنا على الأنترنت : www.yaqoobi.com

جميع الحقوق محفوظة
لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي